

دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري

لفضيلة الدكتور

صالح عبد الكريم

عميد برنامج الدراسات الإسلامية واللغة العربية

بجامعة جميرا بدبي

حفظه الله ورعاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على النعمة والشكر له على المنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من يرجو الفوز بالجنة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخرج الناس إلى النور بعد الظلمة صل الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن سار في دروب السنة أما بعد:-

فأسأل الله **عَجَّلْ** بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَجْعَلَ لِقَاءَنَا هَذَا زَاداً لَنَا .

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨: ٨٩]

إخواني الأكارم يقول النبي **ﷺ** : **كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** إن المسؤولية تتفاوت بين الناس وبين المؤسسات الاجتماعية المختلفة فهناك مسؤولية تقع على مؤسسة المسجد، وهناك مسؤولية تقع على الإعلام، وهناك مسؤولية تقع على الأسرة، وهكذا تتفاوت هذه المسؤوليات، ومن المسؤوليات العظيمة ما يُنَاطُ بِالْأَسْرَةِ مِنْ حَقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ تَجَاهِ الْأَبْنَاءِ .

نرى كثيراً من الأسر في هذه الأيام تسعى لتحقيق الأمن الغذائي للأبناء وهو أمر حسن، وتسعى كثيراً من الأسر لتحقيق الأمن الصحي للأبناء وهو كذلك أمرٌ حسن، وفي المقابل نجد كثيراً من الأسر تُغفل جانب الأمن الفكري.

الأمن الفكري هو سلامة الإنسان في فكره وفي فهمه من الانحراف ومن الخروج عن نهج الوسطية والاعتدال وهو جزء لا يتجزأ من الأمن الوطني، اليوم الحفاظ على الأمن الفكري للأبناء من خلال الأسرة أصبح أمراً مهماً بل أشد أهمية من ذي قبل.. لماذا؟ لأننا نعيش إخواني الأفاضل عصر الانفتاح، انفتاح التقنيات على الناس فصارت المعلومة تخترق كل الحواجز وتصل إلى الأبناء وتصل إلى الزوجات بكل سهولة.

أصبح العالم اليوم في هيئة قرية صغيرة من خلال هذه التطورات الموجودة في العالم، ثم نجد أن الأبناء والأولاد ينقصهم جانب كبير من التحصينات سواء التحصينات العلمية أو التحصينات الإيمانية، وهذا أحوج ما يحتاج إليه الأبناء علم يستدفعون به الشبهات، وإيمان يستدفعون به الشهوات فصارت هناك سطحية لدى الأبناء في مواجهة الأفكار المختلفة، ثم مما يؤكد دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري أن الجماعات الضالة الهدامة اليوم تستقطب الشباب وتوجه سهامها نحو الصغار وتحاول بشتى الطرق استقطابهم إلى فكرهم الآثم حتى من خلال الألعاب الإلكترونية وهذا يعزز ويؤكد أهمية هذا الموضوع الذي أحببنا الحديث عنه في هذه الليلة ألا وهو [دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري].

لا أشك أن الموضوع مُتشعب، له جذور كثيرة من القيم الإيمانية والقيم النفسية، والقيم الاجتماعية وغيرها ولكن نحاول أن نأتي على أهم النقاط الرئيسية في واجب الأسرة في تعزيز هذا الجانب وهو الأمن الفكري لدى الأبناء.

فأولى الخطوات والواجبات على الأسر تجاه الأبناء هو غرس الرقابة الذاتية وتقوية القاعدة الإيمانية، تقوية صلة الأبناء بالله ﷻ إذا استحضر الابن رقابة الله ﷻ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]

فإن ذلك حاجزٌ عن الإقدام على الجريمة، والإقدام على العنف، والإقدام على الإرهاب، فإنه إن غُرس فيه هذا الوازع الإيماني فإنه سيقف عند كل خطوة ويرى هل هذا الصنيع مما يرضي الله ﷻ أو لا؟ فنحتاج بدايةً أن نغرس فيهم هذا الأساس المهم العلاقة مع الله ﷻ، أن يخاف من الله ﷻ، تسمعون اليوم بعض نشاذ الأفعال لدى بعض من غلا واتبع التيارات المنحرفة أنه يُقدم على قتل والديه، ويُقدم على قتل أرحامه ألا ترون أنه لو كان محصناً بالوازع الإيماني والخوف من الله ﷻ أنه لن يُقدم على مثل هذه الأعمال!

وأيضاً من الواجبات المهمة تجاه الأبناء الدعاء، الدعاء لهم وتربيتهم على الدعاء، كما أسلفت في تضاعيف المقدمة أن العناية بالجوانب الصحية

و بالجوانب المظهرية من الطعام واللباس وغيرها أمرٌ حسن ولكننا نحتاج إلى

الجانب المعنوي، نحتاج ألا ننسى قول الله ﷻ **﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي**

ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥]

كثير من الناس ربما يوفر كل شيء لأبنائه، يوفر لهم صور الرفاهية، والحياة

المادية ثم يجد من أبنائه الانحراف الفكري ويتساءل فإذا سألته هل دعوت

يوماً لأبنائك بالصلاح والبعد عن الأفكار المنحرفة؟ تجد أنه يفتقد هذا

الجانب، النبي ﷺ يقول: **"تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتْنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ"**

والإنسان قد يُوكل إلى نفسه، فنحن نحتاج إلى الدعاء، أن ندعوا لأبنائنا

بالصلاح على الدوام وخاصةً في أوقات الإجابة، وأن نغرس في الأبناء

الحرص على الدعاء أن يثبتهم الله ﷻ ، أن يُعيدهم من مُضلات الفتن كما

كان النبي ﷺ يُعلم صحابته.

وأيضاً من الخطوات في تعزيز الأمن الفكري لدى الأبناء غرس أصل

ومبدأ شكر نعم الله ﷻ ، نعم الله ﷻ علينا تترأ، وآلاؤه تتعاقب وتتوالى

﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٥]

والشكر بريد المزيد **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم: ٧]

فيحتاج الأبناء أن يُعرفوا بهذه النعم الكثيرة التي يعيشون فيها، والسعيد من

وُعظ بغيره، يُضرب لهم المثل بمن فقد نعمة الأمن، بمن فقد نعمة الاستقرار،

بمن لا يستطيع أن يخرج من بيته إلى المسجد، بأبناء صار لهم سنة وستين
وثلاث لا يستطيعون الذهاب إلى المدارس، تعطلت حياتهم، فقدوا هذه
النعمة العظيمة وهي نعمة الأمن والاستقرار.

يحتاج الأبناء بأن يُذكروا بهذه النعم العظيمة التي نزل فيها ثم سبل المحافظة
على هذه النعم، وعلى رأس هذه النعم نعمة الأمن كما قال النبي ﷺ
: **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّهَا**
حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. سنن الترمذي ت بشار (١٥٢/٤)

نعمة عظيمة أن يقوم الإنسان في أمن وأمان واستقرار ويمشي في طمأنينة في
أي وقت، يتأمل الإنسان في هذه النعمة، أنت تخرج اليوم من طرف الدولة
إلى طرفها الآخر، تمشي ست ساعات أو سبع ساعات وأنت مطمئن على
نفسك وآمن على نفسك وربما تخرج في منتصف الليل وأنت آمن على
نفسك، وهذه ربما لا تجدها في بعض الدول العظمى، يخاف الإنسان أن
يخرج بعد الثامنة مساءً من بيته، فهذه نعمة عظيمة من الله ﷻ نحتاج أن
نغرس هذا المعنى في الأبناء.

وأيضاً من سبل تعزيز الأمن الفكري لدى الأبناء غرس قيم الوسطية
والاعتدال، وتحذير الأبناء من صور الغلو

النبي ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُنتُمُ فِي الدِّينِ، فَأِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ

كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوُّ فِي الدِّينِ» سنن ابن ماجه (١٠٠٨/٢)، يقول شيخ

الإسلام ابن تيمية وهذا عامٌ في العقائد والعبادات والمعاملات في سائر

الشؤون ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

هذه الأمة تحظى بهذه الميزة إلى جانب المزايا الأخرى أنها أمة وسطية، نحتاج

أن نوجه الأبناء إلى هذا المعنى، أن يكون لديهم اعتدال في جوانب

العبادات، في جوانب المعاملات، في جوانب الفكر، العقيدة يحتاجون حتى

يسلموا من التطرف بنوعيه: التطرف إلى الإرهاب والعنف، والتطرف إلى

الانحلال بنوعيه، يحتاج الأبناء إلى غرس هذا الأصل.

وأيضاً من صور تعزيز جانب الأمن الفكري لدى الأبناء غرس قيم

الإحسان والأخلاق في التعامل مع الناس، يُغرس فيهم قيمة الرحمة

والعطف في التعامل مع الناس، إذا كان هذا الشارع يُثيب المرء على

الإحسان إلى الحيوانات العجماوات "في كل كبدٍ رطبةٍ أجر" كما قال

النبي ﷺ فكيف بنى الإنسان! فكيف بنى آدم الذين كرمهم الله ﷻ!

وهذا مهم جداً أن يُدرك أن من مقاصد هذه الشريعة الرحمة والتراحم،

ولذلك تجدد الجماعات المتطرفة ربما تلغي هذا الأصل وهذا المقصد وهو

الرحمة والتراحم ويجعلون الأصل في الإسلام السيف، ويركزون على هذه

النصوص، ثم رحمة النبي ﷺ وإرساله رحمة للعالمين وتعامله مع الناس ومع الأمم يُغفل كل ذلك، فنحن نحتاج أن نغرس فيهم هذا الجانب.

وأيضاً من صور تعزيز الأمن الفكري لدى الأبناء تأكيد مبدأ التثبت، اليوم لا سيما في أوقات الفتن تكثر الشائعات تُحاك وتُزين وتُصاغ وتُنشر فالمرء ينبغي أن يقف الموقف الشرعي تجاه هذه الشائعات، ينبغي أن يتثبت وهذا شأن المؤمن، وينبغي أن يحذر من تناقل هذه الأخبار "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" بل بعض الأخبار وإن كانت صحيحة فأنها لا تُنشر لما فيها من آثارٍ سلبية على الناس، وعلى المجتمع فيعلم الأبناء كيف يتصرفون مع الشائعات، وهذا جانب مفقود خاصةً اليوم مع التقنيات الحديثة وسرعة انتشار المعلومات، تجد ربما المعلومة تنتشر خلال دقائق أو ساعات لدى آلاف الناس ثم بعد بُرهة من الزمن يكتشفون أن هذا الكلام غير صحيح، وأنها مجرد شائعة.

فنحن في مثل هذه الأوقات أحوج ما نكون للدفع مثل هذه الشائعات لأن هناك من يتقصد الوطن لضرب أمنه واستقراره ووضع الحواجز بين الراعي والرعية، والإنسان المؤمن فطن يتفطن لمثل هذه الأمور ولا ينجر خلف هذه الشائعات.

أيضاً من سبل تعزيز الأمن الفكري لدى الأبناء وهو من الواجبات على
الأسر غرسها في الأبناء توجيه مصادر التلقي، من أين يأخذ الأبناء
المعلومة، اليوم الأبناء يريدون معلومة شرعية في باب الجهاد، في باب
العلاقات الدولية، في باب الهجرة، في أي بابٍ من الأبواب، من أين
سيأخذ هذه المعلومة؟ هل سيأخذها من شبكة الإنترنت؟ من اليوتيوب؟
من غرف البال توك؟ من هذه المصادر المشبوهة التي يكتب فيها من
يكتب، ربما الذي يكتب صاحب فكر متطرف فيأخذ المعلومة منه وهو لا
يعي ولا يُميز بين الخير والشر وليس له آثار من علم ولا تمييز، ما يمتلك،
فيأخذ المعلومة من هذه المصادر، فكم تسمم له من فكر.

يوجه الأبناء إلى أخذ العلم عن العلماء الربانيين ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ

الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]

ويُحذر من دعاة الفتن وما أكثرهم اليوم الناس لا تميز بين العالم والمتعلم،
يظن الناس أن كل من خرج في الفضائيات عالم، وأن كل من ألقى خطبة
قوية مجلجلة عالم، وأن كل من خرج في موعظة وأبكى الناس وأثر عليهم
عالم، وهذا بعيد عن حقيقة الشرع، شتان بين العلماء وبين القراء، شتان
بين العلماء وبين أنصاف المتعلمين، يوجه الأبناء إلى المصادر السليمة
الموثوقة في أخذ المعلومة، يُرى الأبناء على الحوار النقدي في أخذ الدليل

"إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ

نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عود أبنائك إذا جاءتة المعلومة يسأل ما

الدليل؟ ما الدليل من كتاب الله **وَعَبَّكَ** ومن سنة النبي **ﷺ**؟ حتى لا يستطيع من يريد تشويش أفكاره أن يُدخل عليه بعض الأفكار الدخيلة.

وأيضاً من سبل تعزيز الأمن الفكري لدى الأبناء شغل وقت الفراغ

ينبغي أن يُملئ وقت الأبناء كله بالخير والأعمال الإيجابية سواء كانت دنيوية أو دينية، لا يكون هناك فراغات وثغرات في حياة الأبناء؛ لأن هذا الفراغ هو مظنة تولد الشبهات، وتصيد بعض الناس في الماء العكر في مثل هذه الأوقات، بل جلوس الابن في وقت الفراغ وإطلاق العنان لفكره وعقله في بعض الأمور ربما تقوده إلى بعض الأفكار السلبية.

أما إن امتلأ وقته بالخير والعبادة والعمل وخدمة الوطن وغير ذلك من المعاني فإن المفسد تقل فيه، ومن يقرأ اليوم البحوث الإجرائية الميدانية يجد أن فئة من الشباب الذين التحقوا بالتيارات المتطرفة كان لديهم هذا الأمر وهو الفراغ الطويل في أوقاتهم.

أيضاً من صور تعزيز الأمن الفكري لدى الأبناء تقليل جانب العزلة

لديهم، أن يجلس الابن أمام الشاشات وأمام شبكة الإنترنت في اليوم الواحد ست ساعات والأب غافل عنه والأم غافلة عنه مظنة أن يتشرب بعض الأفكار، وهذا الابن كما أسلفنا قد لا يمتلك أجديات التحصينات

ضد هذه الأفكار الهدامة فيحتاج أن يُقلل لديه جانب العزلة، بل يُحض على المشاركات الاجتماعية، والمتأثرون بالأفكار الهدامة يستحبون العزلة، العزلة عن الناس، العزلة عن المجتمع، ولا يرون الخلطة وبعد ذلك تأتي الآثار السلبية الموجودة عند التيارات من تكفير المجتمع، وإتهام المجتمع، وأن المجتمع كله على فساد وهلاك هذه نظرتهم، فينبغي أن تُقلل ساعات العزلة لدى الأبناء.

وأيضاً توجيه الأبناء في اختيار الأقران أو متابعة اختيار الأقران، مع من يمشي، من يصاحب؟ كم من شابٍ نشأ على الفطرة وسلامة الفكر تأثر بقرين سوء يحمل أفكار حزبية أفكار هدامة "والمرء على دين خليله" "والصاحب صاحب" والإنسان يتأثر، فينبغي أن يتفطن الآباء وأن يكون لديهم رقابة مخفوفة بالرحمة للأبناء مع من يمشون؟ من يجالسون؟ بمن يتأثرون؟ وخاصةً في مثل هذه الأوقات فالخطب جلل وقد يتأثرون.

وأيضاً من سبل تعزيز الأمن الفكري تحذير الأبناء صراحةً من التيارات المنحرفة، في مثل هذا الزمان نحن لا نحتاج إلى التلميح وإلى التكنية، يُحذر الأبناء من التيارات الغالية، يُحذرون من (داعش) يُحذرون من (الإخوان المسلمين)، يُحذرون من الجماعات المتطرفة المنحرفة الذين يستقطبون الأبناء، النبي ﷺ كم حذر الصحابة من الخوارج، ودقق في أوصاف الخوارج

حتى يحذروا منهم ومن طريقتهم، وهذا واجب أن يُحذر الإنسان أبنائه من

أهل الأهواء ومن أصحاب التيارات السياسية ومن أصحاب الأجنداث

المنحرفة التي تبين انحرافها وتبين عداؤها لأوطانها، يقول النبي **سَيَكُونُ فِي آخِرِ**

الزَّمانِ ناسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا بِهِ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ."

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : "إياكم ومجالسة أهل البدع فإنها ممرضةٌ للقلوب".

فالإنسان يُحذر أبنائه من التيارات المنحرفة ومن رموزهم، ربما تنتشر لهم

مقاطع عبر الأجهزة، ربما هناك من يُروج لهم فينبغي أن يُحذر منهم ومن

أفكارهم.

ومن الواجبات على الأسر لتعزيز الأمن الفكري أن يكون لديهم إمام

بمؤشرات التطرف وهي كثيرة، إذا وجد الإنسان الابن يبدأ يتكلم عن

المكفرات والتكفير بالمعاصي، وبدأ يُقلد بعض التيارات المنحرفة في سلوكه،

في ملبسه ينبغي أن يحذر وينبغي أن يتفطن إلى مثل هذه المؤشرات.

ثم من صور تعزيز الأمن الفكري وهي كثيرة جداً تدور حول الجوانب

النفسية منها إشباع الحنان في الأبناء حتى لا يبحث عن العاطفة في

مكانٍ آخر وربما يجد هذه العاطفة ولكن عند ذئاب البشر، عند أصحاب

الأفكار المنحرفة، ينبغي أن يُغرس في الأبناء تقدير الذات، أن يُبين مكانته

وقدره، ينبغي أن يكون هناك حوار، ما أحوج الأبناء اليوم للحوار، وأن تُزال

الحواجز الضبابية، ينبغي أن تكون هناك شفافية موضوعية في الطرح بين الوالدين وبين الأبناء وأن يناقشهم، لا يجعل الابن الفكرة الصغيرة التي هي بدايات الشرر في خلجات نفسه يكتمها ولا يبيدها لوالديه، لا ينبغي لأنها قنابل موقوتة؛ لأنه بعد فترة سوف يتأثر سلباً فلا بد أن تُكسر مثل هذه الحواجز، وأن تكون العلاقة علاقة مودة وشفقة بينهم، وينبغي على الوالدين أن يسارعوا إذا وجدوا بوادر من الانحراف الفكري إلى العلاج، فإن لم يستطيعوا العلاج استعانوا بأهل العلم ومن يعينهم على توجيه الأبناء. فالمسؤولية إخواني الأفاضل على الأسر اليوم مسؤولية كبيرة جداً، مسؤولية كبيرة جداً لكثرة التحديات، لكثرة الشبهات، لكثرة نشاط أهل الباطل في استقطاب فئة الشباب.

نسأل الله ﷻ أن يحفظ أبنائنا وبناتنا من الشرور، وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم إلى الطاعات وأن يرزقنا وإياكم الثبات والفوز بالجنات إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وجزاكم الله خيراً.